الإعلام التنموى إشكالية العصر الحديث

د.داليا عثمان

مدرس بكلية الإعلام
جامعة القاهرة

تمهيد :

ساد الاعتقاد فى كون الإعلام قادر على إحداث تغييرات تنموية فى شتى المجالات خلال الخمسينيات والستينات ولفترة طويلة بعدها ، فوسائل الاتصال تمارس وظيفة أساسية فى قضايا التنمية، ولكن مع الوقت طرأ تحول كبير فى اهتمامات العلماء والباحثين المعنيين بجهود التنمية فى الدول النامية خلال الثلاثين سنة الماضية، وتأثرت البحوث والدراسات التى تناولت دور الاتصال فى التنمية بالفكر التنموى المعاصر الذى أكد على حقيقة أن لكل مجتمع طريقه الخاص نحو التنمية فهو طريق يرتكز على التراث الحضارى وموارده الطبيعية والبيئية والاقتصادية.

مفهوم التنمية :

ترتبط التنمية كغيرها من المفاهيم بإطار متكامل من الدلالات ذات الجوانب المؤسسية والواقعية التى تتسم بالشمول ودمج أبعاد متعددة ومتباينة مرتبطة بعملية التنمية وهو ما أدى إلى جدل حول تعريف التنمية وأولوياتها وأهدافها وعناصرها بسبب التباين الملحوظ بين الباحثين واختلافاتهم حول تحديد غايات التنمية وأنماطها ومستوياتها .

مالت مفاهيم التنمية فى البداية إلى التركيز على البعد الاقتصادى وما يتحقق فيه من إنجازات ثم تطور المفهوم ليشمل أبعاداً اجتماعية وثقافية وسياسية ، ثم اتخذ المفهوم منحى مستقبلى متعدد الأوجه أدى إلى بروز مفهوم التنمية المستدامة .

فالتنمية يجب أن تكون عملية شاملة ومتكاملة ومحتوية فى تكاملها على كافة الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والإدارية والإنسانية بطريقة متوازية طبقاً لظروف كل مجتمع من المجتمعات الذى تتم فيه عملية التنمية، بمعنى أن التنمية ليست عملية نمطية يمكن تطبيقها بحذافيرها فى كل المجتمعات وفى كل الظروف ، ولكن الإطار العام للتنمية متقارب ، أما الاختلاف فيأتى من مجالات التطبيق وإمكانياته وأولوياته طبقاً لظروف كل مجتمع[1].

ويمكن تعريف التنمية بأنها كل الجهود التى تبذل من أجل النمو والتقدم وتحقيق الرفاهية للمواطن والمجتمع وبالتالى فهى كل عمل إنسانى بناء فى جميع القطاعات وفى مختلف المجالات وعلى كافة المستويات .

وتعرف المنظمة الدولية للأمم المتحدة "تنمية المجتمع" بأنها تدعيم المجهودات الأهلية للمجتمع المحلى بالمجهودات الحكومية وذلك من أجل تحسين الحالة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والثقافية لهذا المجتمع على أن تكون خطط الإصلاح بهذه المجتمعات المحلية متماشية ومتناصفة مع خطط الإصلاح العامة للدولة ، فتنمية المجتمع إذاً هى النتيجة أو المحصلة عن الجهود التى تبذلها الدولة ممثلة فى الحكومة والمجتمع ممثلاً فى هيئاته للوصول إلى مستوى أفضل من الحياة سواء كان هذا فى الميدان الاقتصادى أو الإنتاجى أو فى

ميدان الخدمات(٢).

وعند الحديث عن التنمية ينبغى أن نتناول عملية التغيير فى المقابل، على أساس أن التنمية هى جزء من عملية التغيير الاجتماعى وقد حاول الباحثون التمييز بين التغيرعلى مستوى الفرد وهو ما يسمى بعملية التحديث أو العصرية والتغييرعلى مستوى الجماعة وهو ما يسمى بالتنمية .

فمصطلح التنمية أشمل من مصطلح التحديث، وإذا كان التحديث يعنى الانتقال من المجتمع التقليدى إلى المجتمع الحديث باستخدام المعارف الخارجية وأساليب التكنولوجيا الحديثة وتغيير الأفضليات داخل الدولة فإن التنمية تعنى نفس معنى التحديث وإن كانت تشمل المجتمع بكافة أفراده ونظمه ومؤسساته.

تطور مفاهيم التنمية :

ظهر العديد من التطورات حول مفهوم التنمية مثل التنمية البشرية والتنمية المستقلة والتنمية السياسية وأضافت هذه المفاهيم إلى ما سبقها وأدت فى النهاية إلى بزوغ مفهوم التنمية المستدامة.

التنمية البشرية :

حيث زادت القناعة بأهمية البشر فى التنمية ما أدى لظهور مصطلح التنمية البشرية التى تعنى عملية توسيع الخيارات المتاحة للناس بتمكينهم من الحصول على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة ومن أن يكتسبوا المعارف التى تطور قدراتهم وبناء ثقتهم الكاملة وتمكنهم من العيش بكرامة والشعور بالإنجاز واحترام الذات.

التنمية السياسية :

بعد بروز مفهوم الحكم الصالح والمشاركة الواسعة كشرط للتنمية ظهر مفهوم التنمية السياسية الذى ركز على أن التنمية السياسية هى تطوير الثقافة السياسية للمجتمع ، وأكد كذلك على العلاقة الارتباطية القوية بين التنمية السياسية والحريات المدنية واحترام حقوق الإنسان كما أن التنمية السياسية تعد بناء للديمقراطية وتحقيق مزيد من المشاركة وتحمل المسؤلية والمتابعة المنظمة لعمليات التغيير ومشاركة المحكومين فى اختيار حكامهم من خلال الانتخابات الدورية ومشاركتهم فى تحقيق الأهداف السياسية الكبرى(٣).

التنمية المستدامة :

لعل من أكبر المحاولات شمولاً فى تناول التنمية المستدامة كانت المؤشرات التى وضعتها إدارة الشئون الاقتصادية والاجتماعية فى الأمم المتحدة التى تستخدم لقياس مدى تحقق التنمية المستدامة وبلغ عددها ٩٦مؤشراً تندرج تحت ١٤ مؤشراً رئيسياً، الفقر، والحكم، والصحة والتعليم، والسكان، والمخاطر الطبيعية، والمناخ، والأرض، والمحيطات والبحار والشواطئ، والمياه العذبة، والتنوع الطبيعى، والنمو الاقتصادى، والشراكة الاقتصادية العالمية، وأنماط الاستهلاك والإنتاج(٤).

الإعلام التنموى :

لقد حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٧٢ يوماً عالمياً للإعلام التنموى يوافق ٢٤ أكتوبر من كل سنة، وذلك للفت انتباه الرأى العام العالمى لمشاكل التنمية والحاجة إلى تعزيز التعاون الدولى من أجل حلها، ومع العقد السابع من القرن العشرين، ظهر مفهوم الإعلام التنموى ويعود الفضل الأول فى نشأته إلى الباحث ولبر شرام (W. Schramm) الذى ألف كتاباً فى وسائل الإعلام والتنمية.

حيث انطلق شرام من أهمية الإعلام بصفة عامة من خلال استحضاره للمسار التاريخى الذى عرفته أوروبا وأمريكا فى ثوراتها المتعددة حيث وجد أن الثورات ما كانت لتتم دون وسائل الإعلام وكذلك الأمر بالنسبة للتعليم والتطور التكنولوجى والاتصالى على أساس أن هذه التطورات أحدثت تحولاً عميقاً فى حياة الناس.

كما يعد ليرنر (Lerner) وزملاؤه أيضاً من أوائل الدارسين لعلاقة الإعلام بالتنمية حيث تبنوا اتجاهاً يفترض وجود علاقة بين وسائل الإعلام فى المجتمع ومعدل سرعة التنمية، كما يرون أنه لن تتحقق التنمية إلا

بزيادة اتساع المدن وانتشار التعليم مما يؤدى إلى زيادة استخدام وسائل الإعلام ومن ثمة تزداد المشاركة السياسية للمواطنين.

ويعد أيضاً لاسويل (H.Lasswellمن أوائل العلماء الذين اهتموا بالوظائف المجتمعية للإعلام وحددها فى مراقبة البيئة من خلال تجميع المعلومات وتوزيعها سواء أكان داخل المجتمع أم خارجه وذلك لتوفير المعرفة اللازمة لاتخاذ القرارات،وخلق رابطة مجتمعية نتيجة ردود أفعال المجتمع تجاه البيئة، بالإضافة إلى نقل التراث الاجتماعى عبر الأجيال من خلال تمرير القيم والتقاليد من الأجيال السابقة إلى الأجيال التالية عن طريق وسائل الإعلام.

ويمكن القول إن الإعلام ووسائله المختلفة هو الذى يمكن أن يلعب الدور الأساسى الذى لا غنى عنه فى تحقيق أهداف التنمية لما تملكه من قوة وقدرة على التغيير الثقافى[٥]، فالتنمية فى جوهرها تغيير فى الحياة الاجتماعية وتعبئة للموارد البشرية وكل هذا يتطلب قدراً كبيراً من الاهتمام بما يعرفه الأفراد عن التنمية وما يريدونه منها .

ونحن كأحد الدول النامية نحتاج إلى نشر خطط وأهداف التنمية على أوسع نطاق للعمل على خلق المشاركة الإيجابية من المواطنين للموافقة والمشاركة فى تنفيذ هذه الخطط ، والإعلام هو الذى يجب عليه أن يتكفل بهذا التبشير بكل ما هو جديد ويخلق لدى المواطنين الرغبة فى قبول الأهداف الجديدة والمواقف الجديدة .

وبصفة عامة يستطيع الإعلام إذا أحسن استخدامه فى الدول النامية أن يكون المحرك الهام للرغبة فى التنمية والتطوير وإذا كان الاتصال ضرورة لأى مجتمع نام أوغير نام فهو أداة المجتمع للمعرفة وهوالوسيلة التى يستخدمها الإنسان لاستقرار حياته الاجتماعية ولذلك لابد أن يكون تخطيط الدول النامية لإعلامها ضمن تخطيطها للتنمية[٦].

أهمية الإعلام فى التنمية :

تتميز بعض وسائل الإعلام بقوة كبيرة ، إذ يتغلغل تأثيرها فى نفوس البشر فيغير اتجاهاتهم وعاداتهم الراسخة فى نفوسهم ، فقد أصبح الإعلام محوراً أساسياً فى منظومة المجتمع ، فهو محور اقتصاد الكبار ، وشرط أساسى لتنمية الصغار .

وهناك دور كبير وأساسى يتعين على وسائل الإعلام الجماهيرى أن تضطلع به وهو التعجيل بالتطور الاجتماعى والاقتصادى ، ذلك أن مشرعات التنمية لا يمكن أن تنجح إلا بواسطة المشاركة من جانب الشعوب ، الأمر الذى لا يتحقق إلا بمساعدة من جانب وسائل الإعلام وبرامج التليفزيون المناسبة .

ومعنى ذلك إننا كدول نامية نحتاج إلى إعلام يواكب ويساند خطط التنمية ويعمل على إشراك جميع أفراد المجتمع فى عملية التنمية ، فهو السبيل لنشر المعرفة بخطط الدولة وهو الذى يؤكد الرغبة فى التغيير ،وينمى اهتمام الناس لتغيير مجتمعاتهم .

ولما كانت الطاقة البشرية هى العنصر الأول فى تقدم الأمم وحضارتها بما يقدمه الفرد من فكر وعمل وإنتاج ، كان من الطبيعى أن يكون الإنسان هو غاية الرسالة الإعلامية تسعى إليه بكل إمكانياتها وقدراتها ، ترسخ فيه القيم وتدعم الثقة وتخلق فيه روح الوطنية وعزتها .

وظائف الإعلام التنموى:

لما كانت التنمية هى الطريق الطبيعى للمستقبل لذا فكل إعلام مستقبلى ينبغى أن يكون فى خدمة التنمية ويسير معها جنباً إلى جنب ويشرحها للمواطنين جميعاً بمختلف مستوياتهم وبجميع وسائل الإعلام المقروءة والمنطوقة والمرسومة بما فى ذلك من فنون الحوار والدراما وسائر فنون الاتصال[٧].

وقد حدد (دنيس ماكويل) المبادئ الأساسية لنظرية الإعلام التنموى فى ما يلى[٨]:

- وسائل الإعلام يجب أن تعمل فى إطار الأهداف التنموية وسياساتها .
- حرية وسائل الإعلام تظل مرهونة بالأولويات

الاقتصادية والحاجات التنموية .

- يجب أن تعطى وسائل الإعلام الاهتمام فى محتوى اللغة وبالثقافة الوطنية .

- إعطاء الأولويات فى التغطية الإخبارية والمعلومات للدول النامية الأخرى التى ترتبط بالدولة جغرافياً أو ثقافياً أو سياسياً.

- حرية الصحفيين العاملين فى وسائل الإعلام تكون مرهونة بمستوياتهم فى جمع المعلومات ونشرها.

ويمكن تحديد مهام الإعلام التنموى لتشمل جوانب متعددة منها :

- إقناع الجمهور باستمالات منطقية للمساهمة فى البرامج التنموية ضمن حملات مخطط لها جيداً ،بحيث تتوافر فيها شروط عناصر النجاح ، وذلك بتوفير المعلومات للسكان عن التنمية وشرط نجاحها وكيفية إنفاق المال العام وشرح القوانين وتبسيط الإجراءات وتنشيط الحوار وتوسيعه وإتاحة الفرص أمام الناس للتعبير عن آرائهم وأفكارهم بخصوص كل مشاريع الحكومة وكذلك الاستماع لأقوالهم والأخذ بالأقوال والآراء الجادة منها.

- تحريك قدرات جمهور نحو إنجاز أهداف محددة من خلال استمالات عاطفية للإسهام فى برامج التنمية ،وذلك باختيار المعلومات بشكل دقيق وجذاب واستخدام أساليب مشوقة من أجل جذب كل شرائح المجتمع للتفاعل مع الوسائل الإعلامية.

- تحويل وتعديل مواقف الناس وتصرفاتهم إزاء مسائل ومواضيع التحديث والتطوير لاسيما إصلاح الإدارة وإصلاح القضاء وتطوير التشريعات ومحاربة الفساد والمشاركة بالرأى وبالعمل.

- توسيع الآفاق الفكرية عند الناس من خلال منظور جديد يتطلب منهم اعتماد وسائل جديدة أكثر عصرية، واعتماد أنماط سلوكية وأساليب عمل أكثر تطوراً وإشعارهم بأن التحديث والتطوير وما يتضمنه من أهداف ومبادئ هو الكفيل لتلبية حاجاتهم.

- تقوية الأواصر بين القادة والمواطنين من خلال توسيع الحوار بين جميع أفراد المجتمع وبين المجتمع والدولة وترسيخ الديمقراطية من خلال مصداقية وموضوعية الإعلام واستقلاله.

- الرقابة دورها هام فى العمل التنموى لأن هذه الوظيفة الاتصالية تمكن وسائل الإعلام من أن تفتح الأعين على جوانب التوفيق أو التقصير فى عمليات التنمية، وهذا الدور يجب ألا يقتصر على كشف الجوانب السلبية لعمليات التنمية، من أجل تحاشيها، بل عليه أيضا إبراز جوانبها الإيجابية حتى يتم تعزيزها..

وفى هذا السياق تبرز أهمية ودور الإعلام الإقليمى على وجه الخصوص فى تنمية المجتمعات المحلية لأنها تساعد مخطط التنمية فى تحقيق خطط التنمية من خلال :

- شرح وتبسيط خطط التنمية .

- يحمل رغبات الناس العاديين إلى المختصين بالتخطيط.

- يتابع ما يفعله المختصون بالخطة طول فترة الدراسات التى يقومون بها ليترجموا رغبات الجماهير إلى خطط قابلة للتنفيذ .

- يحمل ردود الأفعال بعد إعداد مشروع الخطة إلى المسئولين .

- تنظيم مناقشات واسعة وعريضة تشارك فيها الجماهير بالرأى ، حتى يتوافر للخطة أكبر قدر من الديمقراطية .

- يعكس نتائج المناقشات أولاً إلى المسئولين عن الخطة، وعن سياسة الدولة، حتى إذا ما وضعوا الخطة وضعوها فى إطار من نبض الجماهير .

المقومات الأساسية للتنمية :

- إحساس الشعب بالحاجة إلى التنمية .
- توافر المصادر البشرية .
- استخدام التكنولوجيا الحديثة .
- تدعيم أجهزة الإعلام والتدريب والتعليم.

الوضع الحالى للإعلام التنموى :

شخص معظم الباحثين الإعلاميين حالة الإعلام التنموى فى الدول النامية ، وهى حالة غيرمرضية على العموم، حيث يمكن تحديد أهم سلبيات الإعلام التنموى بالصورة الآتية:

- إنه أقرب إلى مفهوم الإعلام الاقتصادى منه إلى المفهوم العام والشامل للتنمية.
- ما زال يتطور كماً ونوعاً بإيقاع بطىء يجعله عاجزاً عن مواكبة الحياة التنموية فى الدولة.
- يبحث فى قضايا جزئية وآنية، ويهمل الأمور المركزية، والقضايا الأساسية والجوهرية فى مجال التنمية.
- يفتقد إلى زمام المبادرة ولا ينشط وفق قوانينه الداخلية، فثمة من يحدد خطواته بعيداً عن متطلبات التنمية.
- ضعيف الصلة بالواقع لاعتبارات سياسية واقتصادية، ويقدم لنا الأحداث معزولة عن سياقها الاجتماعى والسياسى والثقافى والاقتصادى كما يقدم نصوصاً سلطوية بعيدة عن جوهر التفاعل والحوار.
- بالإضافة إلى قصور النظرة الرسمية تجاه الإعلام التنموى وتحويله إلى مجرد أداة تعكس التوجه الرسمى.

الإعلام والتنمية السياسية :

فى ظل عدم وجود تعريف محدد لعملية التنمية السياسية وفى ظل التداخل الواضح بين مفهوم التنمية السياسية وغيره من المفاهيم ، يمكن الاعتماد على بعض المؤشرات باعتبارها تمثل مقومات التنمية السياسية ومنها :

١- تحقيق المساواة بين جميع المواطنين بغض النظر عن اختلاف الأصول أو الانتماءات.

٢- مشاركة الجماهير فى صنع القرارات من خلال النظم البرلمانية والمؤسسات الدستورية والقانونية .

٣- عدم تركيز السلطات فى هيئة واحدة ، وتحقيق الفصل بين السلطات ووجود حق الاعتراض والنقد الموضوعى ، وكذلك حق الجماهير فى مراقبة ومتابعة أجهزة السلطة من خلال المؤسسات الشرعية .

٤- قيام السلطة على أسس عقلانية رشيدة بحيث تكون تقلد المواقع القيادية مكفولاً للجميع إستناداً إلى معايير موضوعية وتكون ممارسة السلطة وفقاً لقواعد وأسس قانونية وفى إطار محدد بالدستور.

٥- نمو قدرات الجماهير على إدراك مشكلاتها الحقيقية والتعامل معها تعاملاً رشيداً.

٦- تحقيق الوحدة والتكامل السياسى بين أجزاء المجتمع من خلال كفاءة نظم التنشئة السياسية ووجود حد أدنى من الاتفاق حول القيم السياسية .

ويمكن القول إن الإعلام - بوسائله المختلفة (المرئية والمسموعة والمقروءة)- يلعب دوراً بارزاً فى تعزيز الوعى السياسى، وفى تدعيم قيم المشاركة السياسية لدى الأفراد، من خلال المعلومات والأفكار والتوجهات السياسية المنقولة لهم عبر مختلف البرامج المعروضة، وهذا بلا شك يحدث تنمية سياسية شاملة تساعد فى تشكيل قاعدة من العلم والمعرفة، تعمل على تغيير سلوك الأفراد الواعين للسير على النهج الصحيح، ورادعاً لهم فى الوقت نفسه للابتعاد عن الصيغ والأساليب التى لا تتفق مع مصالح المجتمع وأهدافه.

ولابد قبل الحديث عن تأثير وسائل الإعلام على التنمية السياسية للأفراد من التأكيد أنه يجب أن تُعطى وسائل الإعلام وتتمتع بقدر كبير وسقف عالٍ من الحرية، وهذه الحرية يجب أن تكون مصانة ومثبته فى القانون وفى وجدان النظام السياسى والاجتماعى فى الدولة على حد سوا، ومقابل هذه الحرية التى يجب أن يتمتع بها الإعلام ليقوم بدوره على أكمل وجه، يجب أن تكون هذه الحرية مسؤولة وملتزمة بالقوانين والأنظمة والعادات والتقاليد والآداب العامة والدين، ولا تتجاوز كل هذه المرجعيات بحجة الحرية.

أما فيما يخص علاقة الإعلام بالتنمية السياسية، فإن هذه العلاقة تعد إحدى أهم الموضوعات التى شغلت وتشغل بال العديد من المفكرين والأكاديميين والسياسيين

فى العالم.

فالإعلام السياسى هو علم قائم بذاته، خصصت له العديد من الجامعات والمعاهد فى العديد من دول العالم حيزاً كبيراً من أقسام الإعلام والعلوم السياسية ، ويعود تأثير الإعلام على السياسة إلى قرون مضت، حيث يمتد هذا التأثير إلى القرن السادس عشر، عندما بدأ التفكير فى كيفية تشكيل الرأى العام ، وبعد ذلك تطورت الأحداث السياسية الدولية بظهور الدولة القومية فى أوروبا وبداية النزاعات والخلافات بين الدول الأوروبية، فدفعت هذه الخلافات الدول الأوروبية إلى محاولة استمالة الرأى العام وتشكيل رأى عام مؤيد ومناصر لتوجهات الأنظمة السياسية القائمة فى ذلك الوقت، ولم تجد هذه الأنظمة وسيلة أقوى وأكثر تأثيراً وأسرع انتشاراً من الإعلام بوسائله المختلفة، التى وإن كانت محدودة من حيث النوعية والكمية إلا أنها بالمقارنة مع الطرق التقليدية الأخرى (مثل نقل الأخبار والمعلومات وبناء التحالفات بوساطة الأفراد)، تعد متقدمة وتساعد على نحو كبير فى كسب تأييد أكبر عدد ممكن من الرأى العام لكل ما تقوم به الأنظمة السياسية بوقت وجهد وتكاليف أقل.

وعند الحديث عن نوعية التأثير الذى تحدثه وسائل الإعلام على أفراد المجتمع، نجده ينحصر فى ثلاثة أبعاد، هى :

١- التأثير المعرفى :

ويكون من خلال التعرض لوسائل الإعلام وزيادة الوعى المعرفى والثقافى بالبيئة السياسية المحيطة ، فوسائل الإعلام تعد مصدراً مهماً من مصادر الحصول على المعلومات المتعلقة بقضية سياسية معينة، تزيد من الوعى والمعرفة السياسية وقضايا المجتمع، فوسائل الإعلام تستطيع أن تؤثر فى التوجهات المعرفية للأفراد، وتستطيع أن تشكل أولوياتهم واهتماماتهم وتوجهها .

٢- التأثير الوجدانى:

وذلك من خلال تشكيل الاتجاهات والمواقف، فعندما يتعرض الفرد بشكل مستمر لوسائل الإعلام فإن ذلك يزيد من اهتمامه بالقضايا السياسية التى تحدث فى بيئته وتدفعه إلى البحث عن المعلومات التى تشبع فضوله.

ومن أبرز التأثيرات العاطفية قضية الشعور بالولاء أو الاغتراب أو الفتور العاطفى تجاه المشاركة السياسية والتصويت الإنتخابى أو الشعور بالإيجابية نحو النظام السياسى أو العكس.

٣- التأثير السلوكى:

وتقوم على دراسة العلاقة بين التعرض المستمر لوسائل الإعلام والمشاركة الحقيقية فى مختلف النشاطات السياسية سواء الانتخاب أو الترشح أو إبداء الآراء السياسية عندما يطلب من الفرد ذلك، ويعد هذا الجانب من أهم أبعاد وسائل الإعلام وتأثيراتها فى عملية التنشئة السياسية، فهذا ينشط السلوك السياسى أو الإجتماعى للأفراد مثل: المشاركة السياسية فى الأنشطة السياسية والإهتمام بالقضايا والشؤون العامة كنوع من الفاعلية السياسية، ويقابل تنشيط السلوك السياسى الخمول السياسى مثل العزوف عن المشاركة السياسية وعدم المشاركة فى الأنشطة السياسية الاجتماعية التى تفيد المجتمع وعدم القيام بالتصويت فى الانتخابات أو الترشح.

ولعل هذه التأثيرات والأبعاد تزيد من أهمية ومسئولية وسائل الإعلام فى التنشئة والتثقيف السياسى بالديمقراطية والقضايا التى ترتكز عليها مسيرة الديمقراطية فى المجتمع، والتى يجب ألا تكتفى بمجرد تثقيف المواطن سياسياً، أو تعزيز ولائه للنظام أو لاتجاه سياسى معين، أو حثه على المشاركة فى العملية السياسية فقط، بل يجب أن تدفعه لاتخاذ دور إيجابى وفاعل فى الحياة السياسية وفى عمليات صنع وتشكيل القرار السياسى بوجه عام، وهذه الفاعلية والمشاركة الفعلية فى الحياة السياسية وصنع القرارات السياسية تمثل ضرباً من ضروب التأثر بوسائل الإعلام ومدى تأثيرها على السلوك السياسى للمواطنين.

ويتوقف نجاح وسائل الإعلام فى قيامها بوظيفة التنمية

السياسية وخدمة أهداف التنمية الأخرى على توفير الحد الأدنى من الشروط الآتية:

١- تحقيق مبدأ تدفق المعلومات فى الاتجاهين - صعودا ونزولا- بالشكل الذى يضمن المزيد من التفاعل الجماهيرى والمشاركة الجماهيرية فى مختلف مراحل العملية الإعلامية.

٢- القضاء على ظاهرتى المركزية والبيروقراطية الإعلامية، وتحرير الطاقات فى سبيل الإبداع والابتكار.

٣- السعى نحو مبدأ حق الجماهير فى الإعلام، وتحقيق الضمانات القانونية الملزمة لممارسة هذا الحق.

معوقات التنمية السياسية :

١- التفاوت الطبقى : الانقسام الطبقى الحاد بين فئات المجتمع الواحد، اقتصادياً، اجتماعياً وثقافياً ،ولد نوعا من تضارب المصالح بين الطبقات الاجتماعية وأصبحت مشاعر السخط هى السائدة لدى الأغلبية ضد الأقلية، كما أن الفئات المحرومة والتى تشكل الغالبية تنظر إلى السلطة الحاكمة على أنها مجرد أداة لحفظ امتيازات الأثرياء مما كان له انعكاس سلبى على الهوية.

٢- أزمة الشرعية : عندما لا تحترم الدساتير، أو نكون أمام دساتير غير ديمقراطية، وإذا لم يوجد فصل حقيقى للسلطات، إضافة إلى غياب التداول السلمى على السلطة، كما أن قمع الأصوات المعارضة بالقوة تارة وبالقانون تارة أخرى، وتنظيم استفتاءات شكلية وانتخابات مزورة وغير نزيهة، كلها عوامل تؤدى الى ظهور أزمة الشرعية.

٣- أزمة المشاركة : تتجلى هذه الأزمة فى عدم تمكين المواطنين من المشاركة فى الحياة السياسية العامة لبلادهم،لأن المشاركة السياسية تعد أهم مقومات التنمية السياسية ، فتغييب المواطنين عن تسيير الشؤون العامة للبلاد يؤدى إلى عزوف سياسى يشمل مقاطعة الانتخابات، وعدم الاهتمام بالمسائل العامة وعدم الانخراط فى الأحزاب السياسية بحيث يكون المواطن فى عزلة سياسية ولا يعبر عن رأيه بحرية ، وبالتالى فهو بعيد عن تقلد المناصب الرسمية فى البلاد، مما يعرقل أى محاولة للتنمية السياسية.

٤- أزمة التوزيع : تتعلق أزمة التوزيع أساساً بمهمة النظام السياسى فى توزيع الموارد والمنافع المادية وغير المادية على مختلف مكونات المجتمع، وهذه المنافع تشمل الثروة،الدخل،الأمن، التعليم،الثقافة،الخدمات الصحية،التشغيل .

الإعلام والتنمية الاجتماعية :

يمكن تعريف التنمية الاجتماعية على أنها : هى تغيير الأوضاع الاجتماعية القديمة التى لم تعد تساير روح العصر بطرق ديمقراطية تهدف إلى بناء اجتماعى جديد تنبثق عنه علاقات جديدة وقيم مستحدثة ويسمح للأفراد بتحقيق أكبر قدر ممكن من إشباع المطالب والحاجات .

كما أن التنمية الاجتماعية تعنى تأصيل العادات والقيم الاجتماعية الصحيحة ونبذ تلك القيم والعادات التى لا تتلائم مع طبيعة المجتمع و التى من شأنها تشويه المجتمع وإخفاء ملامحه الأصيلة .

وسنجد أن الإعلام يلعب هنا دوراً خطيراً فى ذلك النوع من التنمية .

فالإذاعة والتليفزيون والصحافة عليهم مسئولية تثقيف الشعب ونشر الوعى بين المواطنين وتنقية العقول من ثقافة اللاثقافة والثقافة التافهة التى لا تنمى أى معرفة .

ونجد أن الإعلام يستطيع إنجاز تلك المهمة من خلال عرض المحتوى الهادف الذى ينمى الوعى الثقافى لدى المواطن وينمى معارفه ويضيف إلى رصيد معلوماته وتناقش بعض العادات والظواهر الاجتماعية الخاطئة ويبرزها للمواطن ويعمل على تصحيح المفاهيم لديه وبالتالى فهو يقضى على تلك الظواهر فى المجتمع .

فمثلاً عند ظهور أى ظاهرة اجتماعية سلبية كالزواج العرفى أو الزواج المبكرللفتيات أو ختان الإناث أو غيرها, فإن الإعلام يستطيع عن طريق وسائله المتنوعة -أن يعالج تلك الظاهرة ويتناولها بالتحليل وتكشف خطورتها للمجتمع ومدى تأثيرها السلبى على المدى البعيد -الحد

من انتشار تلك الظاهرة فى المجتمع .

صعوبات ومعوقات التنمية :

يقف أمام معنى التنمية والهدف من وراء ذيوع ونشر هذا المعنى عدة معوقات ، وتعد المشكلة الأساسية فى هذا الصدد هى مشكلة نقل هذا المعنى من ذهن رجل الإعلام إلى أفراد المجتمع ، أو نقل المعنى الحقيقى للتنمية من عقل المختص المعنى بالتنمية فى مجتمع ما إلى المعنيين بها فى المجتمع .

وهذا يعنى أن المهمة الأولى التى يجب على رجل الإعلام القيام بها وإجادتها هى نقل المعنى الصحيح للتنمية إلى ذهن القارئ العادى بوجه عام والريفيين والبسطاء بشكل خاص ، لأن عمليات التنمية ليست عملية إصدار أوامر أو تعليمات .

وبدون التغيرات العميقة التى تحدث نتيجة عمليات الاتصال والإعلام الجماهيرى ، وبدون وسائل الإعلام الجماهيرى التى تدعم وتساند التعليم وتوجيه الشباب إلى السبيل القويم لتطوير مستواهم المعيشى ، فإن خطط ومشروعات التنمية فى البلاد النامية ستكون مستحيلة التنفيذ .

كم أن من أهم المعوقات التى تواجه الدول النامية فى التنمية هو معدل السرعة التى تتغير بها الموارد الطبيعية وتقنيات الإنتاج ، خصوصاً فى ظل ارتفاع معدلات النمو السكانى ، مما يتطلب من وسائل الإعلام التأقلم مع هذه التغيرات ونقل التقنيات التى تم تطويرها فى الدول المتقدمة بالإضافة إلى توعية المواطن بما يحدث حوله وتوجيهه للحفاظ على الموارد الطبيعية وسبل استغلال الموارد الاستغلال الأمثل بالاعتماد على التكنولوجيا الحديثة محل النظم العشوائية(١٠).

كما أن هناك معوقات عديدة تواجه الإعلام التنموى أثناء قيامه بعملية التنمية من أبرزها أن برامجه ورسالته الإعلامية لاتنبع من واقع البيئة التى يخدمها وعدم الإهتمام بعنصرى المشاركة والتدريب، وغياب التخطيط، وندرة التدريب، وقلة الخبرة، وعجز الإمكانيات المادية المتاحة أمامه وعدم التزامه بالموضوعية فى الموضوعات المقدمة، ونقص وعدم شفافية المعلومات المتوفرة لوسائل الإعلام التنموى، وضيق الوقت وعدم تحديد المساحة الزمنية المتاحة للمعالجة. بالإضافة إلى سيطرة مشاعرالقلق والتوتر لدى الجمهور، ونظرة الإعلامى لدوره على أنه غير مؤثر، وعدم تحرى الدقة فى المعلومات المقدمة.

كما أنه لا يوجد اهتمام بالقدرالكافى بتنمية المفاهيم العلمية والعملية والارتقاء بالخصائص المهنية للإعلاميين وعدم توفير الموارد والإمكانات الإعلامية اللازمة للتغطية.

مقترحات لتطوير مشروع إعلامى تنموى :

١. التغيير السياسى والاقتصادى والاجتماعى والإدارى والثقافى فى الدولة لإحداث التطوير الممكن فى المجتمع، وهو ما يتطلب الإرادة السياسية، والحسم فى المواقف دون تردد واتخاذ الخطوات فى هذا الاتجاه بشكل تدريجى وعقلانى بحيث تؤمن الاستقرار.

٢. تكوين ثقافة ديمقراطية، تأخذ بالرأى والرأى الآخر، وذلك من خلال الممارسات فى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد أنفسهم، وبين الأفراد والجماعات، وبين هذه الجماعات والنظام السياسى ، على أن لا تعنى الديمقراطية الفوضى والميوعة، بل ما تعنيه فى حقيقة الأمر بناء دولة المؤسسات والقانون وحماية الحريات.

٣. تفعيل المشاركة السياسية، والقدرة على التأثير فى صنع القرار، لأن الإصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى بحاجة إلى هذه المشاركة العامة من المجتمع، فهو لا يقتصر على فئة محددة أو طبقة اجتماعية بعينها، فالممارسة الديمقراطية هى الأساس.

٤. إحلال قيم ومعتقدات وسلوكيات جديدة عوضاً عن القيم والسلوكيات التى فرضتها الحالة الاجتماعية المتردية وهذا من واجب الأفراد والمؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية وكذلك الأسرة، وهى مهمة وطنية

وإنسانية لبناء مجتمع قابل للتطور والحياة.

٥- تغيير النظرة الرسمية نحو الإعلام على أنه أداة للتغيير، فالإعلام من الواجب أن يكون فى خدمة المجتمع، يهتم بالقضايا الأساسية التى تهم مجموع الناس بحيث يخرج من نطاق السلطة.

٦- إصدار تشريعات تحمى الإعلامى وتصون حقوقه، فالحرية هى التى تفجر الطاقات الإبداعية وترفع من مستوى المؤسسة الإعلامية فى أجواء من المنافسة.

٧- العناية ب (التأهيل الإعلامى) للوصول إلى كوادر إعلامية مؤهلة ومتطورة

تستوعب كل ما هو طارئ وجديد، واعتماد مبدأ الكفاءة، والاختصاص والمهنية العالية والعناية الفائقة بالتخصصات المهنية فى المؤسسات الإعلامية .

٨- السعى لمعرفة ظروف الجمهور وتوجهاته، وتلبية حاجاته المادية والمعنوية، والاهتمام

بإيجابية بآرائه وتطلعاته، والبحث عن قنوات اتصال جديدة تجعله أكثر قرباً منه، وذلك لبناء عنصر الثقة فى الأداء الإعلامى .

٩- تنظيم حملات إعلامية تنموية بشكل دورى ومنتظم لدعم ميول الجمهور وتنشيطها نحو أهداف اجتماعية محددة.

المراجع :

١- سمير حسين،"الإعلام التليفزيونى والخليجى والتنمية الشاملة"، رسالة عماد عبد المقصود ماجستير ٢٠٠٧

٢- محمد كامل البطريق،"مناهج خدمة المجتمع"، (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ،ط١) 1968 ص .38

٣- أحمد حسن السمان،" الدور المستقبلى للصحافة المصرية في المشاركة في التنمية المستدامة : "2005-2020 رسالة دكتوراة، (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم الصحافة، (2009 ص .129

٤- إصدارت البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة وتقاريره عن التنمية البشرية، 2007 ص ص .96-47

٥- وليام ال ريفرز، وآخرون ،" وسائل الإعلام والمجتمع الحديث "، ترجمة : إبراهيم إمام، (القاهرة : دار المعرفة، (1975 ص .46

٦- يوسف مرزوق ،"الإذاعة الإقليمية وتحقيق أهداف التنمية "، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٩٤ ص ٢٥

٧- عماد عبد المقصود شلبى،"علاقة التعرض للبرامج الصحية بالقنوات التليفزيونية العربية بمستوى المعرفة الصحية لدى الجمهور المصرى"، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة: كلية الإعلام ، قسم الإذاعة والتليفزيون ، (2007 ص .105

٨- محمد سيد محمد،"الإعلام والتنمية"، (القاهرة: دار الفكر العربى ،(1985 ص ص .29-8

٩- وليد عبد الهادى ،" دور الإذاعة والتلفاز الأردنى في التنمية السياسية "، في : المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، المجلد 6 ع 1 2013 ص ص .70-50

١٠- إيمان بالله ياسر،" اتجاهات الخطاب الصحفى الإفريقى تجاه قضايا التنمية البشرية: دراسة تحليلية مقارنة "، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم الإذاعة والتليفزيون، (2013 ص .46